فاعلية الفعل و ردَّه في حكايات كليلة ودمنة؛ حكاية القرد والغيلم أنموذجا

إدريس كريم محمد

قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة سليمانية، إقليم كوردستان، العراق

المستخلص

يهدف البحث إلى إجراء دراسة في حكايات كليلة ودمنة ممثلة بحكاية القرد والغيلم، فهما مثلا الشخصيتين الرئيستين اللتين دارت حولهما هذه الحكاية كحكاية الإطار، فضرب بهما المثل (طلب الرجل الحاجة، حتى إذا ظفر بها أضاعها)، وهذه الحكاية عبارة عن حكاية مليئة بالحركات من صعود و هبوط منذ البدء بالإنقلاب على القرد المسن (ماهر) من قبل القرد الشاب – بوصفها عملية ضرورية لخدمة الكل و ليست عملية إيذاء له –، وصولاً إلى نهاية الحكاية في فوز القرد بوصوله الى برّ الأمان مرة ثانية و النجاة من خطر الموت، و إعلان وقوفه ضد ما هيأ له الغيلم بقتله و وقوعه في دائرة الغدر والظلم عن طريق هدف وهمي، أمّا الهدف الأساس فهو الهدف الناتج من الهدف السابق، و هو الهدف الذي يريد المس بالهدف السابق الوهمي المتخيل. وهذه الحركات مهما كانت إيجابية أم سلبية، فهي جاءت نتيجة التغييرات الزمكانية من قبل الشخصيات الحكائية. كما أن الخطاب الحكائي لهذه الحكاية يقدم الشخصية الرئيسة(القرد / ماهر) بصورة جيدة، فهو ماهر و يمتلك تجارب و طرق كثيرة للتخلص من الورطات والمشاكل، حتى أنه و مع شيخوخته فهو ذو دهاء وحكمة. إذ يمتلك أيضاً إرادة الفعل وردة تجاه كل مايواجهه نحو الخط النهائي للخطر / الموت / الانتهاء. بعد هذا التلخيص نقول أنّ هذه الدراسة تركّز على إظهار فاعلية الفعل و ردّ الفعل و كيفية الوصول إلى الهدف وتبيان كل تلك المحاولات المؤدية كفعل فردي بغية الوصول إلى المقاصد التي أرادها البطل، أي القائد والمنقذ المتفكر الفذ وهو القرد المسن، بما يؤدي كل مايقوم به القرد من فعل إلى إنقاذ النفس وتعليم الآخر درسا لا ينساه.

الكلمات المفتاحية: الفاعلية، الفعل و ردّ الفعل، كليلة ودمنة، القرد والغيلم.

المقدمة [1]

اعتمدت البحوث والدراسات الحديثة في مجال دراسة النصوص الحكائية القديمة على رؤى ووجهات نظر كثيرة بحسب المناهج النقدية والمذاهب الفكرية المختلفة، و بحسب القصد والهدف، فالدراسة السيميائية بوصفها منهجا جديدا لدراسة النصوص، تُعَدُّ ثورة جديدة في توضيح أو تحويل كل هذه النصوص من موضع أو موضوع إلى آخر جديد، أو هي قفزة نوعية تُسهِمُ في إيجاد نقاط إيجابية قوية في طي المقاطع والجمل والمفردات الموجهة إلى المتلقي، ضمن مقصديات الكاتب أو الراوي أو الحاكي. وكل هذا أدى في نهاية الأمر إلى استنباط نقاط خفية فيها، وقد تميّز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة او القديمة، أو قد تختلف عنها نسبياً مما يُسهِمُ في شد الموضوع في كل مرة نحو هدف معين مغاير، وكاتب الحكاية يقول " فاجتباه الحكماء لحكمته والسخفاء للهوة، وأما المتعلمون من الأحداث وغيرهم فنشطوا لعلمه ....." (ابن المقفع،2014 :45) و وفق هذا نستطيع القول أن المتلقي هو الذي يستطيع شد مقصدية حكايات الكتاب وجذبها وفق قدرته المعرفية والثقافية المُبينة لتلك المقصدية.

في بحثنا هذا نحاول أن نوضح موضوع الفعل و ردّه كثنائية مفاجئة في طي الحكاية نتيجة لكافة الأحداث الموجودة فيها منذ البدء وصولا إلى النقطة النهائية، عند الإنتهاء من الحكاية وجعلها حكاية مغلقة و أنها تؤدي بالمتلقي إلى الوقوف والتصادم مع الصفر أو رقم ثابت في نهاية الحكاية.

1. الفعل و ردّه من خلال البنية السردية:

في هذه الدراسة نعتمد على السيميائية السردية عبر البنية السردية للنص معتمدين على آراء فلاديمير بروب وصولاً إلى ألجيرداس جوليان غريماس كما إستفدنا من ملاحظات كلود ليفي شتراوس، (حشلافي وبديرينة،2015 : 77) تطورت هذه النظرية خطوة بخطوة وصولا إلى يدي غريماس بصورة كبيرة، وحاول تأسيسها بالاعتماد على جملة من الاجراءات والمفاهيم التي تؤدي إلى تفكيك الخطاب السردي، فهو من استطاع الإتيان بمفاتيح سيميائية والتي استخدمت بوصفها وسيلة لإجراء المقاربة داخل النص السردي حيث الرباعيات على سبيل المثال (القبول والرفض واللاقبول واللارفض). وهو الذي إعتمد على تنظيمين هما التنظيم العميق والتنظيم السطحي.

[1] . مجلة جامعة كويه للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٩ ، العدد ١ (٢٠٢٦)
أُستلم البحث في ١٦ كانون الثاني ؛ قُبل في ٦ آذار ٢٠٢٥
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في ٢٠ آذار ٢٠٢٦

البريد الإلكتروني للمؤلف : idrees.muhammad@univsul.edu.iq

حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٦ **إدريس كريم محمد**. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 40.

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v9n1y2026.pp424-430

فغريماس في العميق ينطلق من ملاحظة مفادها ان الذهن البشري ينطلق من عناصر بسيطة، لكي يصل إلى خلق موضوعات ثقافية(بنكراد، 2001: 44).

أما السطحي فيحتوي على مكونين هما المكون التركيبي والمكون الدلالي، ويندرج هذان المكونان ضمن المستوى العميق الذي يشتمل على التركيب الأصولي والدلالي الأصولي أما المستوى السطحي فيتضمن على التركيب السردي والدلالة السردية. (بنكراد،2001: 68).

وتعمل هذه الثنائيات وفق ثلاثة محاور:

1. محور الرغبة:الذات والموضوع.

الذات : التي تقوم بالبحث عن الموضوع.

الموضوع : تقوم الذات بالبحث عنه.

2. محور التواصل:المرسل والمرسل إليه.

المرسِل : الذي يدفع الذات للاتصال بالموضوع.

المرسل إليه : متلقي الموضوع المتحصل عليه بوساطة الذات.

3. محور الصراع: المساعد والمعارض.

المساعد : يساعد الذات على اتصالها بالموضوع..

المعارض : عرقلة الذات و الحيلولة بينها وبين الاتصال بالموضوع.

(حشلافي وبديرينة،2015: 79، عطاالله،2021 :127، وبيرنس،2003 :9-10)

والسيميائية السردية هي التي تولي العناية الخاصة بالسرد ومكوناته، إذ نمت في ظل المنهج البنيوي (ميدان الدراسات الإنسانية والأدبية) حيث يرى فردينان دي سوسير إن السيميائية شاملة وعامة، والألسنية قسم منها، في حين يرى رولان بارت أن السيميائية قسم من اللسانيات حيث لا يتصور وجود سيميائية من دون لغة. (عطاالله،2021 :120)

ومع إعتماده على فلاديمير بروب لكنه أضاف عناصر مهمة في سيميائياته منها بناء نموذجه العاملي المرتكز على أعمال بروب على الرغم من أنه خالفه في بعض مفاهيمه كتعريفه للوظيفة وضبطه لمستويات تنظيم السردية، إذ حدد بروب الوظيفة بأنها قائمة على وجود (فعل ما تحدد من خلاله شخصية ما)، وتتحدد الوظيفة بدورها عبر إنتمائها إلى إحدى دوائر الفعل في الحكاية، إلا أن غريماس يرى أنه لايمكن أن تكون كل ثنائية مما وصفه بروب قابلة ؛لأن تشكل وظيفتين متقابلتين، فإذا كان (رحيل البطل) بِعَدِّه شكلا من أشكال النشاط الإنساني (يعد فعلا أي وظيفة) فانّ انعدام ذلك الرحيل لا يشكل وظيفة ولا يمكننا أن نتعامل معه على أنه وظيفة بل انعدام الرحيل (أو البقاء) هو حالة تستدعي فعلا. (عطاالله،2021 : 123)

2. العلاقة بين الإنسان والحيوان:

يمكننا هنا، أن نُقِرَّ بوجود علاقة بين الإنسان والحيوان؛ لأنهما يملكان محورا دلاليا مشتركا، وبإمكاننا تسمية هذه العلاقة باسم:أنسنة الحيوان، أي جعل الحيوان انساناً وكسر الحدود الفاصلة بين عالم الحيوان و الإنسان (صابر،2003: 139) وهي تحمل في طياتها طبيعة فاعلة مؤدية لإخفاء صفة حيونة الإنسان، أي جعل الإنسان حيواناً وكسر الحدود الفاصلة بين عالم الإنسان والحيوان.(صابر،2003: 139)

نستطيع أن ننظر إلى هذا الموضوع من خلال الغيرة كشعور داخلي أو كرغبة في الحفاظ على الحبيب كما هي عند البشر لاسيماً عند المرأة، و وننظر إليه من زاوية إيجاد هذه الطبيعة الفاعلة في تشابه ثنائية الجنس الأنثوي بين الإنسان والحيوان، إذ إنَّ المرأة في طبيعتها الإعتيادية تشعر بالغيرة في أدنى درجاتها، ورأينا الشيء نفسه عند زوجة الغيلم عندما أحست بتعامل الزوج (الغيلم) حتى مع شبيهه الذكري (القرد) ؛لأن المرأة / الأنثى بطبيعتها لاتريد إبتعاد الزوج عنها وانشغاله بالآخرين، كما تريد التودد إلى الزوج، ولاتريده أن يعيش مع أي فرد لا من جنسه ولا من أي جنس آخر.

لعل الحيوان بمختلف أنواعه وصوره من أكثر هذه الموجودات التصاقا بحياة الإنسان فهو وسيلته في الحرب ورفيقه في السفر ومصدر طعامه وشرابه مما جعل صورته واضحة في حكايات كليلة ودمنة (أحمد وعبدالوهاب:،2015: 235)، فبيدبا عندما لجأ إلى اختيار الحيوانات أراد أن يصل إلى هدفه وغرضه منها، في إثارة الحواس لدى المتلقي وجذبه نحو الحكايات ووضع مسارٍ خاصٍ لهذا المشوار الحكائي، وقد أبدع فيه لاسيما في اختيار الحيوانات بصفاتها القريبة أو المشابهة للإنسان ليشد المتلقي ويفهمه النص بأسلوب خاص قريب من طبيعته وشخصيته، وجاء هذا الاستخدام للحيوانات حكائيا من منطلق مشاركة مشاعر الحيوانات مع المشاعر البشرية، وقد وقع هذا الإختيار تحت موقف نفسي بوعي أو دونه، أوجب الإستسلام بالتشابه والتشارك، وهذا الوقوع النفسي دليل على الترابط الإنساني بالطبيعة الحية.

3. الفعل و رد الفعل وفاعلية اتساع النص التأويلي و توثيقه:-

نحاول استخراج المفردات الدالة على الموضوع بعد قراءة الحكاية مرات عدة، وهذه المفردات في مكانها بمثابة مفتاح لفتح الأبواب المغلقة والمشفرة للحكاية، ومثال ذلك وجود ألفاظ تدل على لحظات التأزم في الحكاية، وتُظهِرُ نتيجتها عقدة الحكاية أو ذروة تأزمها التي تؤدي في لحظة ما إلى حل المشكلة والإنتهاء منها، ومن تلك الألفاظ والتعابير:-

- فإذا ظفر بها أضاعها.
- إن طلب الحاجة أهون من الإحتفاظ بها.
- من ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم. (ابن المقفع، 2014: 153)

من تسلسل الأحداث وإبتداء الحكاية نستطيع تجزءتها وفق معايير:

- استقلالية الأحداث.
- التنقلات المكانية.
- ظهور الشخصيات وكتمانها.

وعبر هذه التجزئة الثلاثية فإنّ الجزء الأول من الحكاية يتكون من الوحدة الإفتتاحية التي نرى فيها وصفاً للأحداث وحريتها من ظهور شخصية قوية تريد السلطة والحكم وإخراج الملك المسن الذي لايستطيع إدارة الحكم وهذا الواقع بمثابة الصراع من أجل السلطة والحكم " زعموا أن قرداً يقال له ماهر كان ملك القردة وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه، وأخذ مكانه فخرج هارباً" (ابن المقفع، 2014: 156) فالخروج هاربا وإستلام السلطة لا تخرج من هذه الثلاثية :-

- طموح ماهر للسطة يؤدي إلى الصراع الموجود في النقطة الثانية.
- الدخول في دائرة الصراع لأجل الحصول على الأول. (السلطة)
- الشيخوخة تساعد ماهر في النقطة الأولى والثانية لغرض الوصول إلى السلطة.

فهذه الثلاثية أدت إلى :

- إيذاء الملك.
- التحول والإنقلاب من قصر الملك والمملكة إلى شخص هارب.

- النجاح لماهر وأخذ زمام الأمور في المملكة.

ممّا تقدم يمكننا القول أنّ الأحداث الموجودة في بداية الحكاية بدءاً من طموح ماهر للسطة والنجاح في تفكيره كانت مثابة حدث حسي وشعوري أدى في نهاية الأمر إلى إتساع رقعة النص أمام الكل وبهذا حصل ما لم يكن بالحسبان حيث :-

" وثب عليه" أدى إلى أن (تغلب عليه) وهذا أدى إلى " أخذ مكانه" والنتيجة " فخرج هاربا "

فالمعايير الحكائية للأحداث الظاهرة في الثلاثيتين السابقتي الذكر أدت إلى نوعين من الحدث، كل حدث تشكل بصورة مستقلة عن الحدث الآخر، وهما حدث الانقلاب على القرد المسن وهروبه، والثاني وقوعه في دائرة خ زوجة الغيلم وصدمته بسبب خيانة الصديق المحبب له وسط مياه البحر، في حين أنه إستطاع إنقاذ نفسه من الورطة الثانية أما الأولى فبقيت بصورة غير رجعية، (ينظر: الحكاية بأكملها ابن المقفع، 2014: 153-159).

ممّا سبق ذكره نصل إلى ركيزة أساسية وهي أننا لن نتمكن من رصد العلامة السيميائية الكاملة في الفعل و رد الفعل بصورة منفردة وبحدث واحد من دون الثاني والعكس صحيح أيضا، ومن الحدثين المذكورين يمكننا رصد مسار الفعل و رده داخل السياق ونعلن العلامة الشخوصية التي تحتمل الفعل و رده أو لا تحتملها، فهذه الحكاية يمكن أن تشير في طياتها، أو ترصد زوال الحكم الأموي على أيدي العباسيين.

ويبدو النص واضحا، من خلال تأويله، إذ نرى ان القرد المُسِنَّ قد يدل على الحكم الأموي، وولايته الذي هرم وكبر فانتهى بسبب العباسيين، الذين يمثلون الحاكم الشاب المتمثل بالقرد (ماهر) وبهذا يمكن أن تتسع دائرة التفكير إلى الحديث عن حدث سياسي متمثل بانقلاب العباسيين على الأمويين، ساقها الكاتب بصورة مُقنَّعة، وغير مباشرة، أي:إن هذه الحكاية قد تشير إلى فعل حقيقي واجه ردَّ فعل حقيقي في المقابل، فالأمويون الناجون من الإنقلاب قد هربوا الى البلدان الأخرى كالأندلس مثل هروب عبدالرحمن الداخل الذي هرب مع خادمه من بطش العباسيين وظلمهم ، ولجأ إلى شاطيء البحر ليؤسس الدولة الأموية في الأندلس والتي كانت علامتها شجرة من شجر التين وهي المملكة الجديدة بعد إرتقاء شاق وصعب (لفتة و شاكر،2012: 18)

4. الفعل و ردّه وفاعلية العجائبي والغرائبي في الحكاية:

تتكرر متوالية الأحداث في الحكاية بسبب علاقة الإصطحاب بين الفرد وسلطته وذلك عبر سلطة حكم القرد قبل إنهزامه وهروبه هذا من جهة، وإبتعاد الزوج عن الزوجة (الغيلم والسلحفاة) بسبب ظهور علاقة الصداقة والإصطحاب بين جنسين مختلفين (القرد والغيلم) ، من جهة ثانية، فالأحداث المتوالية تؤدي إلى تقديم خطاب موجه من المهزوم إلى الآخر، وهذا بمثابة نوع من العجائبية والغرائبية على وجه الخصوص في ظهور علاقة صداقة بين جنسين مختلفين من الحيوانات الدالة على البشر في الواقع، وهذا لأجل التخلص من ورطة الهزيمة بنوع من الحكمة والدهاء، فامتلاك إرادة الفعل من القرد لحظة تورطه وسط البحر والمياه والزوجة البعيدة عن الزوج بسبب إصطحابه لشخص آخر بعيدا عن المنزل عبارة عن نوع من تنظيم الإرادة وتحقيق الهدف والغاية عن طريق التهدئة النفسية والتجربة العميقة في الحياة، شكلت هذه الإرادة دافعا قويا للفعل عن طريق البرنامج السردي الذي إستخدم لغرض نقل المعرفة والقوة العقلية لإنقاذ النفس من ورطة حقيقية ،أي: من تحويل المحور الإفتراضي الذي يمثل الترتيب المنطقي لتسلسل البرامج السردية التعاقبية والتتابعية للحالات أوالتحولات، على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحولها (بن مالك، 2000: 148)، أي: أن هذه المحاولة عبارة عن نوع من فعل الفعل و ردّه لفعل الفعل تجاه الآخر الذي يريد تهديد المقابل بنوع من الغموض والتحايل، فالقرد في ورطته الأولى أخذ درسا من الحياة لايستهان به، لذا هرب وابتعد عن المملكة، ففي الحدث الثاني أو الورطة الثانية إستطاع إظهار قوته وقدرته الحقيقية للفعل وتجسدت هذه القوة في النجاة من الورطة التي حيكت له من الآخر المتحايل، بحجة الصداقة والإصطحاب.

من هنا، ومن بداية المتوالية السردية للحدث الدائر وسط المياه والبحر تظهر قوة القرد الذهنية والفكرية لتجنب التهديد بصورة متناهية وإتمام عملية النجاة والتحرر من الورطة، فالقرد قام بدور بطولي، برد فعل سريع، فور إحساسه بوجود نية سلبية لدى الغيلم وسط المياه، ودفع به هذا الإحساس بسؤآل نفسه عن أمر الغيلم " فلما رأى القرد احتباس الغيلم وأنه ليس يسبح، ارتاب وقال في نفسه :ما احتباس الغيلم وإبطاؤه إلَّا لأمر، فما يؤمنني أن يكون قد رجع عمَّا كان عليه من مودَّتي وإخائي، وانصرَف إلى غير ذلك، فأراد بي سوءًا؟ فقد علمتُ أنه لا شيءَ أخف وزنًا ولا أشد تغيُّرًا ولا أسرع انقلابًا من القلب" (ابن المقفع، 2014: 156)

وهو وبهذا الإحساس الفوري إستطاع أن يندفع برد فعل سريع وهو تنفيذ الفعل و ردّه في آن واحد، أي: أن القرد إستطاع أن يجعل من الفعل رد فعل والعكس صحيح أيضا، وهو عبارة عن نوع من التنفيذ للفعل المصاحب برد فعل (بورايو، د.ت: 196).

يمثل هذا الفعل و رده، فعلَ الفعلِ تجاه الحدث ،أي :ردَّ الفعل الإيجابي تجاه الفعل السلبي، تجسد هذه الحالة التفكير في النجاح والنجاة بوصفة متناهية في الدقة والسرعة، والنجاة من الورطة أوالتورط في الأزمة.

إن نجاح القرد هنا في إنقاذ النفس هو تغلب البقاء على الفناء، ومحاولة لتغليب العيش في الطبيعة (البحر والمياه) على التصنُّع والشر (حيلة الغيلم) المتجسد في انتصار الخير (ذكاء القرد)، بمعنى آخر هو غلبة الحياة على الموت والنجاح على الفشل (سويدان،1991: 319).

ففاعلية فعل الفعل الموازي لرد الفعل تساوي تحفيز المرسل والذي تتجسد قوته في محاولته لإنقاذ النفس، وفي الحدث الأول (الانقلاب) الذي صاحبته الهزيمة، والثاني الذي صاحبه النجاح عبارة عن فعل التحرر والإستقلال كرد فعل على الهزيمة والسقوط. ونتيجة لهذا الفعل نرى تمكين الذات من مهارة الفعل و رده والذي أتخذ بدوره معنى الوصول إلى بر الأمان وعودته إلى ما كان عليه من حال على الأرض والشجرة وما فيها من أسباب العيش والاستقرار والرخاء بعد السقوط والهزيمة.

من هنا، فالنجاح الناتج عن التفكير عبارة عن رد فعل سريع لفعل غامض ومبهم لدى القرد، بسابق تدبير، وتخطيط مبرمج من قِبَل الغيلم فهو لم يعرف أيضاً كيد زوجته، عندما قام به، لكن الفعل الإقناعي الناتج عن التفكير أدى به إلى النجاة والنجاح.

تعد هذه المحاولة محاولة جادة من القرد لاسترجاع هيمنته العقلية كملك كما كان في سابق الزمان، فشعوره بخيانة الصديق ألجأه إلى فعل سريع كرد فعل للخيانة المخفية من الآخر فالخائن الخفي/ (الغيلم) يُعادِل الصديق الظاهر، والخيانة جاءت بسبب تدخل الآخر(الزوجة) وممارسة الضغوطات على الخائن المضطر، فهذا يعني إعادة إظهار عظمته بعد كبوته الأولى من قِبَل الشاب الطموح(ماهر)، فهذا الفعل في النهاية عبارة عن نوع من سيطرة العقل على المكابدة والتحايل المخفي من الآخر، فالآخر يريد دفع المقابل في ورطة، و يقوم صاحب العقل بفعل ناتج من رد فعل، صادر من دائرته وأعوانه، لذا فمنطق الرد هنا يحتم بالحاجة إلى تفكير صادر من العقل كما صدر من القرد ضد خطة الغيلم وزوجته.

وبهذا قدمت الحكاية تقوية معنوية لشخصية القرد والذي غيَّر حالة فشله السابق بالنجاح وإنقاذ النفس، وجاء في النهاية برد فعل للفعل والأداء تجاه فعل الغيلم من جهة، وكيد زوجة الغيلم من جهة ثانية ،أي :أنه أصاب عصفورين بحجر واحد وتمكن من بيان طبيعة العلاقة المتناقضة بين القرد والغيلم في الحدث الثاني كفعل متناقض بين دائرتين متناقضتين هما دائرة حياة القرد ودائرة حياة الغيلم وبني جنسه، أما الحدث الأول (إنقلاب القردة) عبارة عن فعل و ردّه في داخل دائرة واحدة، بين بني جنس واحد، بين القرد المُسِن (الملك السابق) وماهر/ القرد الشاب (الملك الجديد) الذي قام بالإنقلاب.

في الحدث الأول :

- فعل الفاعل لم يواجه برد فعل ناجح، أي: فعل الفعل دون الرد (الاستسلام والهروب) .

في الحدث الثاني :

أ. فعل الفاعل الظاهر لم ينجح، فقد واجهه رد سريع أي فعلُ منع الفعل (الامتناع والهروب الناجح).

ب. فعل الفاعل المخفي إكتسب رد فعلٍ مشوهٍ، دون نتيجة أي فعلُ منع الفعل (الامتناع والخيانة).

فالفعل في المكان والحدث الأول لم يواجه رد فعل ناجح بعكس المكان والحدث الثاني، وهو فعل سلبي حاصل على رد فعل ناجح وإيجابي مؤدٍ إلى النجاة والعودة منتصراً في قمة الحدث بعد مُدَّة وجيزة من الوقوع في الورطة والفخ، مما كاد أن يهلكه، بسبب الفضاء المائي أو البحري؛ لأن القرد هو حيوان بري وفوقي، مصاحب للأشجار والأحجار المرتفعة أو المرتفعات بصورة عامة، لكنه إستطاع إستبعاد الخطر بصورة متناهية والعودة للعيش بصورة كريمة ومنفردة كما كان في الأصل.

من هنا نستطيع أن نجد الرابط في الخطاب الحكائي بين الطبع الإيجابي للقرد في الحكاية مع الغيلم المتحايل المشحون بفكرة سلبية، في إنهاء حياة الصديق المخلص بالقتل، بإضمار سوء النية ، بسبب زوجة القرد نفسه، بينما لم تكن النتيجة ناجحة، بالنسبة للغيلم ، بينما كانت كذلك للقرد، وهو المتوسم بالقيم الإيجابية منذ الوهلة الأولى للحكاية، التي انتهت بطمس التين والغيلم في البحر، وبهذا إستطاع القرد تحويل الورطة إلى فعل ناجح،برد فعل سريع، في تحويل المخاوف، كفعل سلبي إلى رد فعل إيجابي، فرد الفعل كان غير متوقع من القرد؛ لأن مثل هذه الأفعال غير مجسدة في الفضاء الحقيقي الذي يعيش القرد (الحيوان البري) فيه، أي:على البر، وفي الأخص الأجزاء الفوقية من الأشجار، فهذا الحدث (الثاني) يُحفِزُ المتلقي على عدم الاستسلام حتى في أوج المخاطر والأزمات، ، بل عليه أن يفكر ويأتي برد فعل مضادٍ لغرض عكس خارطة الحدث لصالحه وإيقاع الآخر في الورطة بدلاً من الوقوع بنفسه، كما خطط لها الطرف الأول.وهو رد الفعل الذي لخصه القرد بقوله: "العاقل قد يبلغ بحيلته مالايبلغ بالخَيل والجنود " (ابن المقفع، 2014: 27)

فهذا يثبت قوة الفعل (العقل) الفاعلة لفاعل ناجح، أفشل مخطط الطرف الآخر وكفَّ ضرَّه عنه (الغيلم وزوجته بصورة مخفية ضد القرد)، وبالتالي فإن نجاته دليل على تحويل الفعل الإيجابي لديه في لحظة مناسبة ضد الفعل السلبي لفاعلين، أحدهما الصديق الظاهر (الغيلم الزوج) والآخر مخفي (زوجة الغيلم) وبهذا يقع الفاعل الإيجابي في وضعية فاعل يملك قدرة النجاح واكتساب ما يريده واثبات القدرة على الفعل وتفكيك خدعة المخادع الماكر، بصورة استراتيجية، خاطفة، تفتقر إلى الرد الرجعي، مما حدا بالأول الاستسلام والاكتفاء بعدم الرد على فعل القرد المباشرة وبالاعتراف باستراتيجيته الجيدة، التي أظهرت ضعف قوة فعل القرد الأول مقارنة برد فعل القرد الثاني، بما وسمَ الأول بقلة العقل وسوء تصرفه بقوله " فقال القرد :أظنُّك تراني كالحِمار..." (ابن المقفع، 2014: 158) واستغل فرصة نجاحه بسبب فعله الإيجابي الذي هو رد فعل في الوقت نفسه، بما يثبت قوة فعل الفاعل في ممارسة فعله الإيجابي وحالته الشعورية وإستعداده النفسي تجاه الفعل و رد فعل الآخر القبيحة والشنيعة (الغيلم الصديق بتحريض زوجته) وأنجز القرد مهمته كنوع ظاهري لفاعلية العلامة السيميائية في داخل النص بدلا من الفاعلية العلاماتية السيميائية الحقيقية المختفية وهو بيدبا والقاريء عن طريق بعض المعطيات النصية المقيدة، التي نستطيع أن نسلم بوجودها (بن مالك، 2004: 17)، كما يثبت هذا الفعلُ الفعلَ الاقناعي وسلطته المعرفية اقناع الغيلم لتنفيذ خطته (ولو كنتُ علمت بهذا كنت قد جئت بقلبي معي؛ قال الغيلم :وأين قلبك؟ قال :خلَّفته في مكاني الذي كنت فيه، قال :وما حَمَلك على ذلك؟ قال :سُنَّة فينا معشَرَ القرود، إذا خرجنا إلى زيارةِ أخٍ أو صديقٍ نُخلِّف قلوبنا لتزول الظِّنَّة عنَّا، فإن شئتَ أتيتُك به سريعاً، ففرح الغيلم بطيب نفسِ القرد، وانقلب به راجعاً، حتى إذا بلغ الساحل وثب القرد إلى الشجرةِ فصعِدها، وأقام الغيلم ساعةً ينتظره، فلمَّا أبطأ عليه ناداه الغيلم: يا خليلي، عجِّل :خذ قلبك وانزل، فقد حبستني، فقال القرد :أظنُّك تراني كالحِمار.....) من خلال هذا نستطيع القول: إنَّ ما قام به الغيلم عبارة عن نوع من المكافأة للقرد دون علم أو معرفة بحيلة القرد وعقله و رد فعله، أنه استطاع إقناعه بشكل من الأشكال عن طريق جلب إنتباهه تجاه حرمات الأصدقاء لاسيما عند زيارتهم وشل قدرته العقلية بفعله، الذي هو رد فعل في الوقت نفسه، ومن خلاله خرج من دائرة نظام مجتمعي ، ودخل في دائرة نظام آخر وهو دائرة الإستهزاء والإستفزاز "أتراني كالحمار الذي زعم الثعلب أنه ليس له قلب ولا أذنان؟" (ابن المقفع، 2014: 157) والخروج من دائرة النظام يأتي بمثابة تشكيل عناصر خاصة لعدم التقارب والترابط.

من هنا تتحدد صورة / أتراني.../ في أشد درجات الغيظ الذي يعد من الحالات القصوى للإنفعال النفسي والسخط ضد المقابل (الغيلم وخطته)، أن الغيلم لم يتوقع أبدا أن نصيحة القرد ستكون مثابة صدمة عنيفة باغتته وخيبت آماله وحرمته من إمتياز (الحصول على قلب)، وهذا يقودنا إلى أن الغيلم قد حرض القرد على الكلام " قال الغيلم: وكيف كان ذلك؟ " (ابن المقفع، 2014: 157)؛ لأنه كان مقتنعاً في اللحظة الأولى التي أجابه القرد فيها "أتراني.." أن النصيحة لن تتجاوز حدود اللياقة ولن تخترق الممنوع. كما إن سوء النية من الغيلم وزوجته تجاه فرد من جنس آخر ليس من جنسهما، يعد خيبة و ضربة موجعة وسقوطاً عنيفاً للغيلم والزوجة. (بن مالك ،2000: 23)

بعد كل هذا نستطيع أن نؤول التراجع الذي قام به الغيلم بضغطٍ من الزوجة هو مثابة نقطة الحسم في مسار الحدث المبرمج من قبل الزوجة بصورة غير مباشرة، جاءت غيرةً لغياب الزوج عنها، ومصاحبته لحيوان من جنس آخر، مما أدى إلى تطور هذا الحدث بصورة سلبية نتيجة التوتر والإنفعال والتفكير الجدي من الزوجة والذي أدى إلى استشارة الآخر (القرد) بالعقل لحظة الحسم، فإرتقاء القرد هو في الواقع محصلة من القيود التي أوقع نفسه بها في اللحظة التي جمعته بالغيلم وسط البحر والتزم الصمت لحظة إحساسه بالحيلة من الغيلم (فلما رأى القرد احتباس الغيلم وأنه ليس يسبح، ارتاب..... ثم قال للغيلم :ما يحبسك؟ وما لي أراك كأنك مهموم؟ (ابن المقفع، 2014: 157) نتيجة هذا الفعل الشنيع فكر القرد بصورة فاعلة ، بينما احتكم الغيلم، في هذا الحين برد فعل الزوجة عليه وعلى صديقه في رضوخها إلى أهوائها ونزواتها على حساب عقله. فالقرد بدأ يفكر في حيلة وبها تتطور الأمور بسرعة وبفعل ظهور النية السيئة من الغيلم حرك لينتصب فاعلا إيجابيا بفعله و رد فعله السريعة (ثم قال للغيلم :يا خليلي، إنه ليس ينبغي

Original Article |**DOI:** https://doi.org/10.14500/kujhss.v9n1y2026.pp424-430

للخليل ان يدَّخِر عن صاحبه نصيحة ولا منفعة، وإن أضرَّذلك به في نفسه. (ابن المقفع،2014: 157).

فالتضاد بين الفعل و رده هنا يشكل أساساً بين النجاة والهلاك وبين التراجع والإستمرارية، وتؤدي بالمعطيات الدلالية في الحكاية إلى مجالين : إيجابي يضم الإقبال والتقدم (قال : سُنَّة فينا معشَرَ القرود، إذا خرجنا إلى زيارةِ أخٍ أو صديقٍ نُخلِّف قلوبنا لترول الظِّنَّة عنَّا، فإن شئتَ أتيتُك به سريعًا، ففرح الغيلم بطيب نفسِ القرد، وانقلب به راجعًا، حتى إذا بلغ الساحل وثب القرد إلى الشجرةِ فصعِدها. (ابن المقفع، 2014: 153) والمجال الثاني سلبي يضم اللاإقبال والتراجع (وأقام الغيلم ساعةً ينتظره، فلمَّا أبطأ عليه ناداه الغيلم :يا خليلي، عجِّل :خذ قلبك وانزل، فقد حبستني، فقال القرد :أظنُّك تراني كالحِمار الذي زعم الثعلب أنه ليس له قلبٌ ولا أذنان. (ابن المقفع، 2014: 157)

نسمُ الأول بسمة الحياة ويقابله الثاني بسمة الموت، وهذا ما حدث للغيلم الذي لم يحسم الأمر في إتخاذ قراره بين تقدمه وتراجعه، فالتقدم يعني نجاة الزوجة والتراجع عبارة عن هروب القرد ونجاته بصورة تحايلية، التراجع هنا يضمن له النجاة وإتخاذ القرار في وقت مناسب، أدى إلى نجاته، وعدم هلاكه (فرغب القرد في الفواكه، وتابع الغيلمَ وركبَ ظهره، فسبح به الغيلم حتى إذا لجَّج به في البحر، عرض في نفسه قبحُ ما يريده وفجورُه وغدرُه..... قال الغيلم :زعمت الأطباء أنه لا دواءَ لها إلَّا قلبُ قرد، فقال القرد في نفسه :وا سوءتاه! لقد أورطني الحرصُ والشره على كِبَرِ السن شرَّ مُورط..... فإن شئتَ أتيتُك به سريعًا، ففرح الغيلم بطيب نفسِ القرد، وانقلب به راجعًا، حتى إذا بلغ الساحل وثب القرد إلى الشجرةِ فصعِدها، وأقام الغيلم ساعةً ينتظره، فلمَّا أبطأ عليه ناداه الغيلم :يا خليلي، عجِّل :خذ قلبك وانزل، فقد حبستني، فقال القرد :أظنُّك تراني كالحِمار. (ابن المقفع، 2014: 158)

نتيجة كل ذلك اغتنم القرد فرصة النجاة والنجاح بصورة ضرورية قبل تفاقم الوضع ووقوع الكارثة فهذا الفعل السريع جداً من القرد جاء من خلفية فكرية عميقة نابعة من عقلية جيدة. (بونقاب،2012: 159) وبالمقابل فنجاة القرد بالفرار والعودة إلى بر الأمان والصعود على الأشجار أو بجلب قلبه أو بخنقه داخل المياه يساوي نجاة الزوجة وعودة الزوج (الغيلم) إليها وإلى أحضان العائلة، وتجنب مصاحبة جنس آخر ؛لأن الإستمرار في هذا التصرف قد يؤدي في نهاية الأمر إلى فقدان الإثنين مثل حكاية الغراب والحجلة: "زعموا ان غرابًا رأى حَجَلة تدرُج، فأعجبته مِشيتها، فطمع في تعلُّمها، فراض نفسه فلم يقدر على إحكامها، فانصرف إلى مِشيته التي كان عليها فلم يُحسن، فبَقِيَ حيران مترددًا لم يدرك ما طلب ولم يحسن لما كان في يده الحِفْظَ" (ابن المقفع، 2014: 219)

إن الغدر الذي يأتيه الغيلم حين يكذب على صديقه القرد وقراره باستضافته لزيارة منزله ليقتله يحمل العداوة إلى قلب الصداقة، ويجعل من غفلة القرد خطراً على حياته، بينما يكون حذره صائناً و منجياً، لهذا السبب نجد القرد يشك في أمر الغيلم وهما في البحر، فالقرد يخرج من غفلته ويذكر ضرورة الحذر المستمر(سويدان،1991: 313)، وذلك كون " لا شيء أخف وزناً ولا أشد تغيرا ولا أسرع انقلابا من القلب" (ابن المقفع، 2014: 156) وعليه، يجدر بالعاقل التنبه والحذر باستمرار "و لا يغفل العاقل عن التماس علم ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر، وفي كل لحظة وكلمة، وعند القيام والقعود، وعلى كل حال فإن ذلك شاهد على ما في القلوب" (ابن المقفع، 2014: 156)، فالكفاءة الموجودة كفعل إيجابي لدى القرد تستدعي ضرورة تحقيق الانجاز أو الأداء من قبل الفاعل الحقيقي المتميز بملكة الفعل في بعض تجلياته، ويهدف هذا الطور إلى إبراز (كينونة الفعل). (بونقاب، 2012: 43) و" تتشكل كفاءة الفاعل المنفذ بامتلاكه لشروط، بدونها يتجمد النشاط المقيد في بداية التحريك، إن الفاعل المنفذ يجد نفسه هنا في علاقة مع القدرة على القعل ومعرفة الفعل، يعني ممتلكا للوسائل التي تمكنه من القيام بالفعل"(اينو وآخرون،2008: 236)

وتسمى هذه التجليات بموجهات الفعل، وتتمثل فيما يأتي:- معرفة الفعل، القدرة على الفعل، إرادة الفعل، وجوب الفعل، وإذا تعلق الأمر بموجهات فإن المحددة للكفاءة منها وافرة العدد ولايمكن حصرها، فقد أرجعها غريماس استجابة لما يتطلبه المنهج الاستقرائي القائم على إخضاع المادة المشتتة إلى قواعد قليلة جامعة إلى ثلاثة رئيسة وأضاف إليها أتباعه واحدا جاعلين إياها أربعة وهي :- الشعور بوجوب الفعل، والرغبة في الفعل، والقدرة على الفعل، والمعرفة بالفعل (العجيمي،1991 :54، بونقاب، 2012: 43).

من هنا إنَّ ثنائية (إرادة الفعل / وجوب الفعل) كعلامة سيميائية تمثلان في التركيز على أهم الموجهات على قوة الفاعل (القرد) بحكم إستباقها للفعل من خلال الوجوب والإرادة الممهدين لتحقيق الفعل (بونقاب،2012: 44)، والتحقيق سبب رئيس لإبراز وفهم التنظيم السردي، وفيه تكون الفواعل في وضعية مضمرة قبل وصلتها بالمواضيع، ومع الوظيفة الوصيلة نجد نوعين من العلاقات والتحقيق، إما أن تكون هناك فصلة بين الفواعل والمواضيع، وإما أن تكون وصلة محققة، ويفهم منه التحول الذي يؤسس، إنطلاقا من فصلة سابقة وصلة بين الفاعل والموضوع (بن مالك، 2000: 150)، وهذا التحقيق هو الذي يشعر فيه الفاعل ان (ينبغي، ينتظر) تنفيذ خطته وهذا لايأتي من الفراغ أوالصفر فهذه العلامة تؤكد حضورها ووجودها من وجود فاعل غائب خطط للأمر والفعل (بونقاب،2012: 44 – 45) وهذا الفعل (إن كان فعلا أو ردة فعل من القرد أو الغيلم أو زوجة الغيلم بمساعدة الآخر) يأتي من قيام الشخصيات بأفعال أو مجموعة من الأحداث والتي تقع أو التي يقوم بها أشخاص تربط ما بينهم علاقات وتحفزهم حوافز تدفعهم إلى فعل ما يفعلون وهذه الأحداث والأفعال التي تقع أو التي يقوم بها أشخاص تربط ماينهم علاقات (علاقة الغيلم وزوجته) تحفزهم لفعلهم حوافز وإنما هي أحداث أو أفعال تتوالى في السياق السردي تبعا لمنطق خاص بها يجعل وقوع بعضها مترتبا على وقوع البعض الآخر، أي: ان ما يقع أو ما يجري فعله خاضع لمنطق (يجب أن يكون الزوج قريبا من زوجته ولايتركها أبد الدهر) وإن بدى لنا ذلك، أحيانا، عبثيا فاقدا لكل منطق. فالمنطق هذا خفيٌ، يتوخى، في خفائه أحياناً، المظهر العبثي، أو الإيحاء بالفوضى (تقرب الغيلم من القدر وتركه لزوجته بمثابة التقرب بين ثنائية متضادة كالإيجاب والسلب) وإن كانت الأفعال تتوالى وفق المنطق، وإن كان القائمين بالأفعال مرتبطين بعلاقات في ما بينهم محفِّزين على نحوٍ ما للقيام بهذه الأفعال (العيد، 2010: 43 – 44) كل هذه الأفكار تؤدي إلى الإستثمار المفيد في تحليل هذا النص السردي وذلك بالتركيز عل كل تفصلاته النصية، وأوجهها السيميائية ذات الطابع الإيحائي، وذلك بالوقوف على الوحدات السيميائية، أي :العلامات أو الإشارات الدالة التي استثمرت في بناء النظام السردي، وكانت مشحونة بشحنات دلالية. (بلقاسم، 2008: 231)

والسبيل إلى هذه الوحدة أو العلامة السيميائة هو وجود فعل إقناعي داخل هذا النص الحكائي و الذي يأخذ شكلا من أشكال الفعل المعرفي بمعنى الفعل الذي يأتي نقيضاً للفعل العملي (الذي يحرك موضوعات القيمة) والذي يعمل في نطاق المعرفة المنسوبة الى تلك الموضوعات (بونقاب،2012: 71)

وهو بذلك، يُعدُّ شكلا من أشكال الفعل الإقناعي، يتعلق بهيئة التلفظ، ويرتكز إلى إستدعاء اللافظ لكل أنواع الكيفيات التي تهدف إلى جعل الملفوظ له يقبل العقد التلفظي المقترح وإلى أن يكون التبليغ فعالا (بن مالك 2000: 137) وهو كما لاحظنا فعل إقناعي بالدرجة الأولى، فيحمله على تبني مشروع معطى وتنفيذه مشيرا في ذلك الى المعوقات التي تعترض طريقه وحلولها المتوقعة وطبيعة الصراع الذي سيواجهه

والمساعدات التي يلقاها (زوجة الغيلم من أصدقائها) وبهذا يدخل الفاعل في دائرة أو دوامة الصراع لتنفيذ مشروع المرسل الذي تخوله في رغبته من فعل الفعل، ويمكن أن يمارس المحرك فعله الإقناعي (طموح الغيلم في الحصول على قلب القرد) معتمدا في ذلك على كيفية القدرة، وفي حالات أخرى يقنع المرسل إليه بوساطة المعرفة والقوة المعرفية والتجربة الذاتية لديه، وفعله هذا أدى إلى إرسال رسالة إيجابية للفاعل في صنف الإغراء وذلك بالترغيب في الموضوع (رد فعل القرد في موضع قلبه) وإن كان فعله هذا سلبيا فأنه يعود على الفاعل في صفة التحذير(فقال القرد :أظنُّك تراني كالحمار). (ابن المقفع، 2014: 158) أو التهديد (ناداه الغيلم :.....، عجِّل :خذ قلبك وانزل ...). (ابن المقفع، 2014: 157)، وفي كلتا الحالتين يحاول الفاعل الأول (القرد من جهته) أن يؤثر في الفاعل الثاني المباشر (الغيلم بصورة مباشرة) و (زوجة الغيلم بصورة غير مباشرة) بشكل أو بآخر لينفذ خطته ويجرب أداءه (بونقاب،2012: 71- 73)

وعن طريق خطة القرد نستطيع أن نقول بأنه فعل فعلة فكرية بالتفكير عن نية الغيلم أو أنَّ خوفه من نية الغيلم لم يشكل عائقا في داخله لإنقاذ نفسه، في حين أنه أحس بوجوده داخل ورطة وأزمة حتمية، لكنه بدهائه ومهارته وحكمته إستطاع أن ينقذ نفسه وأن يتجاوز هذه الأزمة الحقيقية بدلا من إستسلامه و تورطه بالأزمة فانقلب على الآخر وإستطاع إنقاذ النفس عن طريق خدعة بسيطة وهبة متحايلة غائبة عن المقابل (القلب للغيلم) كوسيلة لعقد إلزامي بينهما ويشرع القرد في تنفيذ برنامجه على شكل تقديم القلب كهدية للغيلم لعلاج مرض الزوجة وفعل القرد هذا الفعل السريع الناتج عن رد فعله كمحرك أساس للمسار السردي لأجل الوصول إلى النتيجة الإيجابية وبر الأمان، والغيلم وقع في فخ رد فعل القرد بالقبول وعدم الرفض في حين أنه فائز إلى هذه اللحظة بنتيجة نهائية لكنه خسر الفعل وفقد لذة الفوز بسبب دهاء القرد وحكمته – كما بيناه سابقاً – وهذه الخسارة جاءت نتيجة وجوب الفعل و رد الفعل من القرد ورغبة الغيلم كفعل و رد فعل في لحظة واحدة تجاه إقتراح القرد، وتثبت هذه الخسارة دهاء القرد وغباء الغيلم، وعن طريق هذا الأسلوب تنتظم دلالة النص، وذلك عبر سعي الغيلم في الحصول على قلب القرد، وكاد ان يتمكن من الظفر به، لكنه لم يتمكن من الإحتفاظ به بسبب افتقاده للمهارة أو الحذق اللازم، لذلك فلم يلبث أن أضاعه وانتهى في مهمته بالفشل.

فشخصية الغيلم هنا شخصية فاشلة في مهمتها حتى في حياتها بسبب ترك عائلتها، و مثل هذه الشخصيات بمثابة نموذج لايحتذى به، على العكس من ذلك إنه نموذج لايجدر تجنبه، وربما كنت إيجابية المثل في هذا الجانب تحديدا، فتضييع الظفر مطروح هنا لتبيان ما ينبغي تلافيه، إذ على من يطلب أمراً ألا يكتفي بالظفر والحصول عليه، بل عليه أن يتقن الإحتفاظ به والا أضاعه إلى الأبد، وفي هذه الحالة لايكون قد بدد ما حققه فقط، وإنما أضاع كل الجهد الذي بذله من أجل ذلك، إذ ينبغي على من أدرك حاجته أن يحسن المحافظة عليها وألا يتصرف كالغيلم كي لا يخسرها مثله، لكن إيجابية المثل لا تقتصر على هذا الجانب بل ربما كانت قائمة أصلا بعدِّهِ سلباً للسلب، إذ إنَّ المهمة التي انتدب الغيلم لانجازها هي مهمة سلبية، لما تضمنته من غدر بصديقه القرد وتضييع فعلي له؛ وخاصة لأن مآلها الحقيقي هو في طريق اكتمال إنجازها؛ لأنَّ قلب القرد ليس دواء للزوجة المتمارضة، وبالتالي يكون الرهان الذي مضى الغيلم على أساسه في مهمته رهاناً خاطئاً، ومن ثم تكون الفائدة المرجوة من الغدر ضرراً لا مبرر له، لذلك فإن الفشل الذي أحاق بمهمة الغيلم فشل للأذى الذي كان سيلحقه بالقرد، وفي الوقت نفسه خلاص لهذا الأخير من محاولة القضاء عليه، وفيما يتخطى خصوصيته المحددة، أوفيما هو مطلق، يشكل التضييع هنا خسارة أعظم من عدم الظفر بالحاجة ومن عدم الحصول عليها؛ ذلك لأنه يضيف الفشل إلى عدم تحقيق المهمة وجعلها مستحيلة التحقيق بعد أن كانت ممكنة بل حاصلة. (سويدان،1991: 307 – 308).

وفي الختام نقول أنّ العلاقة السيميائية ودلالاتها في حكاية القرد والغيلم هي العلاقة الخاصة بين القوة والعقل، فموقع العقل هو الذي يحسم مصير أية عملية سعي كانت، فإن دور العقل خاص بنجاة القرد إزاء سيطرة الغيلم كمعارض يبين عن انتصاره على هذا الأخير في عملية الصراع والمواجهة بينهما، لقد كان القرد على ظهر الغيلم في البحر واقعاً في قبضته خاضعاً لسطوته، بل أن حياته كلها رهن مشيئته. وفي تمكن القرد بذكائه من الإفلات منه والخلاص بنفسه، وهو ما لم يكن يستطيعه بقوته يدل على تفوق العقل على القوة، بل إنه في الصيغة التي يتم بها إفلات القرد باستعماله الغيلم ليعود به إلى البر يدل على تسخير هذه القوة لمشيئة العقل وخدمتها لأهدافه، ضمن هذا المنظور يجدر النظر إلى المطلع الحكائي نفسه، حيث لا يبدو من المصادفة أن يبدأ الخطاب القصصي بتضييع القرد لملكه... إنه يمثل بذلك إعلاناً مسبقاً لبنية النص العامة الممثلة بتضييع الحاجة بعد الظفر بها، ولكنه أيضاً تحذير مسبق للمحاور (الملك الذي واجهه بيدبا في بداية الحكايات) من خطر مماثل تتعرض له سلطة لاتستند إلى غير القوة، و بالتالي تحريض واضح على إعتماد العقل و الاهتمام بالمعرفة نظراً لأولوية هذا الجانب على ذاك المتصل بالقوة والبطش ولتفوقه عليه وتحكمه به ربما كان هذا بالتحديد هو ما فاته القرد، وبالتالي بدد ملكه؛ وكأن هذا التقصير بالذات هو ما يفسر لاحقاً وقوعه في الخطأ وتصديقه خدعة الغيلم. فالحكيم العاقل فعلا هو ذاك الذي يحترز في عمله ويتدارك الأمور قبل وقوعها (سويدان،1991: 336).

وبهذا نرى أن القرد بسبب رد فعله السريع تجاه الفعل الشنيع الذي أراده الغيلم إستطاع النجاة والمرور بعاصفة قاسية في ميدان (الفضاء البحري) ، الذي لم يكن ميدانه الطبيعي المتمثل بالبر والمرتفعات.

فالقرد بعد نكبته في مملكته، التي لم يستطع الإحتفاظ بسلطانه عليها وملكه فيها نتيجة شيخوخته وهرمه إستطاع الإحتفاظ بوجوده حيا في مرحلة مابعد الجاه والقوة " زعموا أن جماعة من القردة كان لها ملك ....فطال عمره حتى بلغ الهرم، ..... فنفوا القرد الهرم وملّكوا الشاب فانطلق هاربا فلحق بساحل البحر" (ابن المقفع، 2014: 153)

فالتوجه نحو الساحل عبارة عن نوع من النجاة والنجاح غير المباشر بعد هزيمته، لكن نجاحه في السيطرة على الغيلم بعقله وذكائه دليل على تجربته الناجحة في الحياة وإثبات شخصيته المشحونة بالحكم والتجارب،

" قال للغيلم:يا خليلي!..... ولو كنت علمت بهذا كنت قد جئت بقلبي معي.

قال الغيلم وأين قلبك؟

قال: خلفته في مكاني الذي كنت فيه.....سنة فينا معشر القرود؛ إذا خرجنا إلى زيارة أخ أو صديق نخلف قلوبنا لتزول الظنة عنا..... ففرح الغيلم بطيب نفس القرد وانقلب به راجعا حتى إذا بلغ الساحل وثب القرد إلى الشجرة فصعدها. وأقام الغيلم ساعة ينتظره...ناداه الغيلم : يا خليلي عجِّل؛ خذ قلبك وانزل، ...فقال القرد: أظنك تراني كالحمار....." (ابن المقفع، 2014: 157)

فحكاية الحمار وابن آوى والأسد كحكاية ضمنية لا تعود مثلا فقط عن الحمار الغبي الذي يختلف عنه القرد الذكي، كما يشير إلى ذلك الحوار الممهد لها بين القرد والغيلم، وإنما هي أيضاً وخاصة وجه آخر مماثل ومختلف في الوقت نفسه عن حكاية القرد والغيلم، وذلك بقدر ما يمكن اعتبارها مكملة لها، من حيث أنها تبلغ النهايات التي قصرت عنها، فإذا كان ظفر الغيلم بالقرد لا ينتهي إلى النجاح، وطمع القرد لا يؤدي إلى الموت بسبب ذكائه فإن حكاية الحمار وابن آوى والأسد تقدم عكس ذلك بجعلها ابن آوى والأسد ينجحان

بالظفر بالحمار وافتراسه، وجعلها الحمار يقتله طعمه لغبائه...كأن النص لا يكتفي عبر الحكاية الأولى – الأساسة – بالتحذير السلبي من جهة و الإرشاد الإيجابي من جهة ثانية، فيكرر ذلك مؤكداً المخاطر الفعلية التي تحيق بمن لا يأخذ بهذا أو ذلك.

وعلى هذا النحو تنتظم دلال النص سيميائياً كما يفتتحه الحوار في مطلعه وكما تسعى الحكاية لتأكيده، فالغيلم الذي سعى إلى الحصول على قلب القرد تمكن من الظفر به، لكنه لم يتمكن من الإحتفاظ به بسبب إفتقاده للمهارة أو الحذق اللازم لذلك فلم يلبث أن أضاعه وانتهى في محمته إلى الفشل(سويدان،1991 :307 - 311)

وفي الختام نقول في حين أن هذه الحكاية تتميز بكونها نصاً تعليمياً لكنها جاءت لتوضيح فكرة أو أكثر لا يغيب عنها نية الإصلاح أو المشروع الإصلاحي أو أنها هي بمثابة نوع من النصح من متكلم مجرَّب إلى المتلقي بكافة أنواعه وهذا الموقف لا يقتصر على البناء الكلي في التركيب الحكائي وإنما هو متجسد في أنماط الشخصيات الحكائية في كليلة و دمنة بصورة عامة.

5. النتائج:

1. تمثل هذه الحكاية إنتصار الجانب المعرفي الدال في الخير على الشر بوصفها بُعداً طبيعياً في البشر في حين أنها تمثل تغلب الحياة على الموت والنجاح على الفشل.
2. يعد نص هذه الحكاية نصاً توعوياً لتحقيق رغبة الصراع من أجل البقاء وإنجاز المهمة الصعبة حتى في أقصى لحظات الفشل والإنحطاط والإنهيار.
3. هناك ترابط متين و مؤثر بين حكايات كتاب كليلة ودمنة، لاسيماً هذه الحكاية مع ما قبلها و مابعدها، وذلك من خلال النظام التراتبي لحكايات كليلة ودمنة والنظام العاملي بصورة عامة لحكايات الكتاب، وهذا الترابط التراتبي قد يجذب المتلقي ليؤيد جهة و يترك الثاني كما بين هذه الحكاية المختارة وحكاية الحمار وابن آوى والأسد والتي انتهت الأولى بالنجاة والنجاح والثانية بالقتل.
4. يعد العقل أسمى الأطراف والوسائل لمعالجة المشاكل والورطات، ففي هذه الحكاية رأينا نتيجة إستخدام العقل والذي أدى بالقرد إلى النجاة وبالغيلم إلى الندامة والفشل، أي أنه بمثابة مفتاح الظفر.
5. الحيلة عامل مهم في تشكيل الوحدات والعلامات داخل هذه الحكاية بالتدريج والتكامل والتراتب، وأدت إلى إبراز أفعال تأويلية في طي الحكاية.
6. المعلومات الموجودة داخل هذه الحكاية خدمت البناء السردي لها، فوصف القرد (ماهر) بالهزيمة بسبب تقدمه في السن عبارة عن نوع من الإنهزام والإنتهاء لدوره، كما أنّه عرض شخصية الغيلم بطيبته في البداية لكنه حاول أن يغدر صديقه في النهاية.

المصادر

ابن المقفع، عبدالله، (2014)، تح: عبدالله عزام و طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.

اينو, آن, وآخرون(2008)، السيميائية، الاصول،القواعد والتأريخ: تر: رشيد بن مالك، تقديم د. عزالدين المناصرة، دارمجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.

باقر, الأسدي, أم.د. خالد لفتة ، و أم.د. ناصر شاكر (2012)، فاعلية العلامات في حكايات كليلة ودمنة دراسة سيميائية : مجلة جامعة البصر السنة الصابعة، العدد الثالث عشر.

برنس, جيرالد (2003)، قاموس السرديات: تر: السيد إمام، ميريرت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة.

بلقاسم , د.دفة (28 – 29 نوفمبر 2008)، بنية الخطاب السردي في سورة يوسف – دراسة سيميائية - : محاضرات الملتقى الرابع السيمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خضر بسكرة .

بنكراد, سعيد (2001)، السيميائيات السردية مدخل نظري: منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب.

بن مالك, رشيد (2000)، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي – انجليزي- فرنسي – مضمون ، شكل: دار الحكمة،تلمسان، الجزائر.

بن مالك, رشيد (ابريل 2004)، قراءة سيميائية في كليلة ودمنة لعبدالله بن المقفع، الملتقى الثالث، السيمياء والنص الادبي، بسكرة، الجزائر.

بورايو, عبدالحميد (ديسمبر 1999)، نص حكاية الحيوان مقاربة سيميائية: مجلة اللغة والأدب، مجلة علمية أكاديمية يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر.

بونقاب, سعيدة (2012)، سيميائية الحكاية في مؤلف كليلة و دمنة لعبدالله بن المقفع: رسالة ماجستير،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر

سويدان, سامي (1991)، في دلالية القصص وشعرية السرد، ط1، دار الآداب بيروت.

صابر, شاكر محمد (2003)، البنيات الدالة بين كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة – خرافة الحيوان أنموذجاً –رسالة ماجستير، جامعة السليمانية، كلية اللغات.

العجيمي, محمد ناصر (1993)، في الخطاب السردي (نظرية قريماس) دار العربية للكتاب.

عطاالله, حامه , د.عبدالباقي ، و د.الذيب (2021)، السيمياء السردية، الأسس النظرية و آليات التطبيق: مجلة القارىء للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد الرابع، العدد الرابع، جامعة الشهيد حمه لخضر، الجزائر.

لخضرة, د.حشلافي (2015)، السيميائيات السردية من فلاديمير بروب إلى غريماس: بديرينة فاطمة، مجلة مقاليد، العدد التاسع، الجزائر.

المبيضين, الضمور , ماهر احمد ، عماد عبدالوهاب (يناير–مارس2015)، أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي: حوليات آداب عين شمس-المجلد34.

يمنى العيد، 2010، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي: دار الفارابي، ط3، بيروت لبنان.